Book Review

Vol. 1, No. 1, 2022, p.123-134
journal.maqasid.org
DOI: 10.52100/jcms.v1i1.47
Received : August 10th 2021
Revised : Sept 21th 2021
Accepted : Sept 27th 2021

المنهجية المقاصدية:
دراسة تحليليّة ونظرات استشرافيّة

Mo'taz Al-Thaher
International Islamic University Malaysia, Malaysia
malthaher@maqasid.org

الملخص

تحاول هذه القراءة للمنهجية المقاصدية ككتاب وليس كمشروع فهمَ الأسس الرئيسية التي تقوم عليها المنهجية، وما هي الأدوات المعرفية التي تستخدمها، وأهم التحديات التي ما تزال المنهجية لا تجيب عن أسئلتها، وبماذا تفترق عن غيرها من المقاربات المقاصدية المعاصرة، أو القراءات الحداثية للمقاصد. كما تحاول هذه القراءة أيضًا تقديم نظرة استشرافية لأهم الخطوات التي يجدر بالمنهجية تبنّيها، وكيف يمكنها الموازنة بين سؤال تقييم التراث وتجديده وتعاطي المنهجية مع مسائله تحليلًا أو نقدًا، اتفاقًا أو اختلافًا، وسؤالِ الواقع وكيف تشتبك فيه المنهجية مع القضايا المعاصرة، وهل من شأنها أن تقدّم حلولًا جذرية، وهل يمكن لها أن تفتح أفقًا جديدًا في التفكير المقاصدي.

الكلمات المفتاحية: المنهاج المقاصدي؛ مقاصد الشريعة؛ جاسر عودة.

Abstract

This review of the Maqasid methodology book attempts to understand the main foundations on which the methodology is based on, the cognitive tools it uses, the important challenges it fails to address and how it differs from other contemporary methodologies or modern interpretations of Maqasid. Also, the review attempts to provide a forward-looking view of the most important steps the methodology should adopt, how it can balance the question of heritage evaluation and renewal, how it analyses, critiques, agrees or disagrees with the differ issues of Maqasid, how it's practiced in reality, how it intertwines with modern-day issues, and whether it could provide radical solutions, and open new horizons in Maqasid thinking. The Maqasid methodology is a unique addition to the current Maqasid studies, as it opens a new horizon in Maqasid thinking while being mindful of the weaknesses and strengths of traditional and contemporary Maqasid studies and the gaps in modern/ current reviews. Building the methodology depended on logical networking and communicative formats through the seven elements of complex visualization. The researcher believes that the methodology is worthy of further

Corresponding Author
Name : Mo'taz Al-Thaher
Email : malthaher@maqasid.org

investigation by those interested in this field. Despite the value the methodology adds, more research is needed at levels of rooting and theorizing; it also needs to prove its ability to forge solutions for contemporary issues. This study attempted to review and analyse the Maqasid methodology to offer some suggestions with the aim to develop it further.

Keywords : maqasid methodology; maqasid al-Sharia; Jasser Auda.

القصد البحثي[١]

هو محاولة فهم المنهجية المقاصدية، لتحديد جوانب التميز ومكامن الضعف فيها، مع تقديم مقترحات حول ما يمكن أن يشكّل إضافة إلى هذه المنهجية تأصيلاً أو تطبيقًا.

محاور هذه المراجعة :

١_ أهم نقاط التمايز عن المناهج المقاصدية المعاصرة

يرى الدكتور جاسر حتمية المقاربة المقاصدية في التجديد المعاصر المنشود مؤكدًا تميّز المقاربة المنهجية المقاصدية لكونها مقاربة مستقبلية نقدية شاملة؛

أ_ مستقبلية: حيث تعمل المنهجية على تفعيل النظر المستقبلي الذي يتمثل في المقاصد، من خلال التفريق في المنطق الزمني بين السببية والغائية، وإدراك التكامل في خطاب الوحي بين دفع السبب من عالم الماضي للواقع، مع شد الغاية من عالم المستقبل إليها. وأخيرا استهداف إدخال التفكير المستقبلي في عمق المقاربة الإسلامية (عودة، ٢٠٢١، ٣٣-٣٤).

وبالتأكيد لا يخفى أثر الغائية (المقاصدية) في الانطلاق نحو المستقبل لا الماضي، وأهميّتها في تفعيل سؤال "لماذا" وتطوير ملكة التفكير النقدي، ولكن يرى الباحث افتقار تأصيل هذه المقاربة المستقبلية من ناحية شرعية، وكيف يمكن تأصيلها في ضوء الحديث عن خيرية القرون الأولى وفضل السلف على الخلف. كما لم توضح المنهجية كيف "ستستهدف إدخال التفكير المستقبلي والتخطيط بعيد المدى في عمق المقاربة الإسلامية في كل المستويات". كما لم توضح المنهجية بماذا تتمايز هذه المقاربة المستقبلية عمّا اصطلح عليه في التراث بالفقه الأرأيتي، أو ما

[١] يستخدم الباحث هنا مصطلح (القصد البحثي) عوضًا عن (إشكالية البحث) تماهيًا مع رؤية المنهجية أن "البدء بالقصد البحثي أولى من البدء بإشكالية بحثية كما هو شائع؛ لأن الإشكالية قد تنحرف الأفهام في تعريفها نظرًا لأن التصور للواقع ما زال لم يُبحث بما يكفي بعد". انظر (عودة، ٢٠٢١، ١٨٨)

Copyright © 2022 JCMS

يعرف بالفقه الافتراضي أو المستقبلي أو فقه التوقع، أو كما أطلق عليه الدكتور هاني الجبير بـ "الفقه الارتيادي".[٢]

ب_ نقدية: حيث "ترتكز المقاربة النقدية في المنهجية المقاصدية على بعدين أساسيين: بُعد الفكر الإسلامي الموروث منه والمعاصر، وبُعد الفكر غير الإسلامي؛ أي الذي لا ينطلق من منهج إسلامي أصلا ولكن يشكّل جزءا من الواقع الفكري أو العملي المعاصر" (عودة، ٢٠٢١، ٣٦).[٣]

ويرى الدكتور جاسر أن "الإشكالية المنهجية الأساسية في دراسات المقاصد المعاصرة هي ضعف الاهتمام بالجانب النقدي لكل هذا التراث في مقابل الجانب التاريخي أو الوصفي أو التوثيقي، فإنه يجب علينا لزوما أن نتجاوز هذا إلى نقد يسير جنبا إلى جنب مع البناء المنهجي لضمان التواصلية بين البناء والمراجعة، وتصحيح الجزئيات في ضوء الكليات" (عودة، ٢٠٢١، ٥٥).[٤]

ج_ شاملة: تنطلق المنهجية المقاصدية في مقاربتها الشاملة من معانٍ متعددة:

- أنها للإنسانية كلّها وليست فقط للمسلمين في سياق زماني أو مكاني محدد.
- أنها نظر تركيبي شامل لا يقوم على التبسيط أو الأحادية التفكيرية أو حتى الثنائيات الموهومة
- أنها مقاربة عملية فاعلة في الواقع المعيش.[٥]

---

[٢] الفقه الارتيادي، نظرات في الفقه المستشرف للمستقبل (فقه التوقّع) (الجبير، ٢٠١٤).

[٣] يتفق الباحث مع أهمية هذه المقاربة، وما هذه الورقة إلا جزء من هذه المقاربة في بُعد الفكر الإسلامي المعاصر.

[٤] يلحظ الباحث أن الدكتور جاسر عودة قام بسرد طويل لأهم الجهود المقاصدية في التراث الإسلامي. مستشهدا بعدد كبير من الأصوليين والفقهاء، إلّا أنه أغفل كلًا من يحيى الليثي في فتواه الشهيرة في كفارة الصيام، والطوفي في نظرية المصلحة. هذان المثالان مهمّان في جانب العلاقة بين النص والمقصد وهو من أهم جوانب التجديد المقاصدي عند الحداثيين أو التجديديين المعاصرين. ويميل الباحث إلى أن الدكتور جاسر أغفلَ –ولم يغفل عن– هذين المثالين، فهما يمثّلان حالة جدلية ومحل نزاع في إمكانية تجاوز المصلحة "المقصد" للنص من عدمِه. ويغلب على الظنّ رغبة المؤلف في تأجيل تناول المنهجية لهذه المسألة إلى مرحلة لاحقة. وعليه يرى الباحث أن هذه المسألة من قضايا التراث التي لا يمكن للمنهجية تجاوزها دون تحريرها وإبداء الرأي فيها كما سيأتي.

[٥] يقترح الباحث إفراد المقاربة العملية كعنصر رابع في عناصر تميّز المنهجية المقاصدية، كقسيمٍ للعناصر الثلاثة وليس قسمًا مدرجًا ضمن المقاربة الشمولية، كما يرى الباحث أن المقاربة العملية مهمة جدا في تفعيل المنهجية المقاصدية وإخراجها من الدائرة الأكاديمية إلى التأثير الفعلي في الأوساط العلمية والحركية.

Copyright © 2022 JCMS

٢_ أهم نقاط التمايز عن المناهج التقليدية

- ترى المنهجية المقاصدية أن منظومة مقاصد الشريعة التقليدية غير كافية للمتطلبات المنهجية في عصرنا، وأن الأمة الشاهدة على الإنسانية – والإنسانية نفسها– تحتاجان إلى تجديد منهجي شامل وعميق في المقاربة الإسلامية، تجديد يتجاوز التقليد أو التلفيق أو التبرير (عودة، ٢٠٢١، ٢١).
- يؤكد الدكتور جاسر عودة في أكثر من موضع أنّ مرداه بالفقه هو المصطلح الأصلي الشامل للفقه وليس المفهوم المذهبي المعاصر (عودة، ٢٠٢١، ١١, ١٢, ١٤, ٦٣, ٧٢, ٧٣, ٧٨, ١١٥, ١٦٦, ١٧٣)، ويوضح ذلك بإسهاب في مداخل الكتاب. ويقترح الباحث تخصيص مبحث أو عنوان فرعي في الكتاب لشرح مفهوم الفقه بالمعنى الأصلي الشامل من منظور المنهجية.[٦]

٣_ أهم نقاط التمايز عن القراءات الحداثية

- التزامها بوجود المطلقات: فالشبكة المعرفية في تصور المنهجية المقاصدية إذ تقوم على بناء شبكي، إلا أنها في الوقت نفسه تتمايز عن الشبكة المعرفية في المناهج الحداثية أو التفكيكية باستنادها إلى "مطلقات مركزية، يشكل الوحي فيها عمود البناء كمفهوم مركزي يضع معرفة الله من خلال وحيه في مركز المعرفة الإنسانية، ويضع عبادته في قمة الأهداف الإنسانية (عودة، ٢٠٢١، ٦٥).

[٦] تعرّف المنهجيةُ الفقهَ – بالمعنى الشامل– في خلاصات الكتاب بأنه:"العلم بالأحكام التكليفية والمصلحية القلبية والعملية من نظرياتها ومبادئها الكليّة التي تولدت من تكامل أدلّتها التفصيلية (عودة، ٢٠٢١، ١٨٧).

Copyright © 2022 JCMS

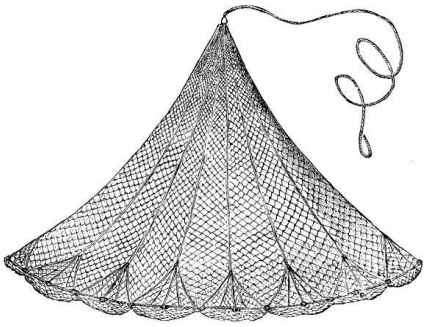

الشبكة المعرفية في التصور الإسلامي

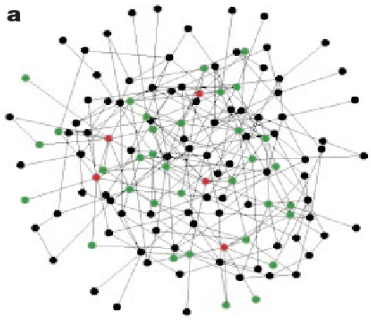

الشبكة المعرفية في التصور الحداثي أو التفكيكي

الشكل التوضيحي رقم ١ _ الفرق بين الشبكة المعرفية في التصور الإسلامي والتصوّر الحداثي.

- الفصل بين الثوابت والمتغيرات، فمن الثوابت: العقائد الأساسية والمعاني الكلية المركزية التي لا تقبل النقض كالمقاصد العامة، والمفاهيم الأصلية من الوحي (عودة، ٢٠٢١، ٧٤-٧٥)،[٧] والأوامر والنواهي الإلهية القاطعة (عودة، ٢٠٢١، ١٦٩).[٨] هذه الثوابت تحول دون الوقوع في السيولة أو التفكيكية.

- الجزم بقدرة الاجتهاد الفقهي وفق المنهجية المقاصدية على " إصدار أحكام قاطعة بالتحريم أو الوجوب لفعل معين انطلاقًا من تنزيل الأصول والمباديء على الواقع المعيش في أي من تجلياته" (عودة، ٢٠٢١، ٧٧, ١١١).

٤_ العوائق والتحديات أمام المنهجية–الأسئلة العالقة–

- تحدّي التوزان في نقد التراث لفهمه وتقييمه دون الوقوع في دوّاماته، وتحديد القضايا التي يمكن تجاوزها في التراث وماذا لا يمكن تجاوزه:

يرى الباحث أن المنهجية المقاصدية تحتاج أن توضح موقفها العلمي تجاه الأصول الأساسية الناظمة للفكر الإسلامي؛ فيكون عندنا موقف واضح للمنهجية من المنطق الكلامي، والقياس، والاستحسان، وعصمة أئمة أهل البيت ... الخ. مع تقييم لأولوية واحدة على أخرى، ضمن

[٧] ومما يجدر التنبيه عليه، أن المنهجية تعتبر الشعائر بشكل عام تحت الثوابت وليست من المتغيرات، كما تُدرج المقدرات العددية المحكمة ضمن الثوابت. ورغم إشارة الدكتور جاسر عودة إلى أن موضوع المقدرات العددية المحكمة هو موضوع مركب وله تفاصيل إلا أن الباحث يقترح تسليط الضوء بشكل أكبر عليه تأصيلاً وتفصيلاً، لما لقضية المقدرات العددية من حضور في الدراسات المقاصدية المعاصرة والدراسات الحداثية للنص كالتاريخانية أو التفكيكية.

[٨] فالنفع لا يصح في المناهج السليمة أن يخرق أمرًا أو نهيًا إلهيًا

Copyright © 2022 JCMS

تصنيف ما يمكنها تجاوز النقاش فيه وما لا يمكنها تجاوزه "إجرائيا" من مسائل التراث، بما يخفف من حساسية بعض المواضيع الشرعية أو التاريخية المتخمة بحمولة سياسية أو طائفية أو معرفية تعيق التفكير الناقد وتسحب نحو دوامات متكررة من التفكير الثنائي أو الاستقطاب غير المبرر.

وعليه فيرى الباحث أن هناك جملة من القضايا التي يمكن للمنهجية تجاوز طرحها والنقاش حولها، لعدم تأثيرها المباشر في مخرجات المنهجية. هذا التجاوز ليس تجاوزًا معرفيًا بطبيعة الحال، وإنما تجاوز "إجرائي" كما أسلفنا للسير خطوات إلى الأمام في تحليل ونقد وتطبيق المنهجية في ظل قدر أدنى من التشنّجات بما يضمن فرصة لشرحها بشكل أكبر للجمهور، ودراستها بشكل أعمق من الباحثين، ومن هذه المسائل: حجيّة قول الصحابي، عمل أهل المدينة، الإجماع، خلق القرآن، القراءات المتواترة والأحرف السبعة...الخ.

من جهة أخرى، فقد يصعب على المنهجية تجاوز بعض القضايا الأساسية في التراث، وتحتاج تقديم رأيها بشكل واضح فيها، لأنّ الموقف منها يبنى على ما بعدها، وهي داخلة في صلب الأدوات البحثية والاستنباطية للمنهجية، ومنها: المقاصد الكلية الخمسة،[٩] والموقف من القياس الفقهي،[١٠] وموقف المنهجية المقاصدية من السنة[١١].

فمثلًا يؤكد الدكتور جاسر أن المرجعية الحتمية هي فقط للوحي كتابا وسنة (عودة، ٢٠٢١، ٤٢)، إلا أن الأمر ربما يحتاج إلى تأصيل أكبر في كون السنة وحيا جنبا إلى جنب مع الكتاب؛

[٩] أشارت المنهجية بشكل مقتضب إلى موقفها من نظرية الضرورات والحاجات والتحسينات المعروفة، لكن يرى الباحث أن الأمر يحتاج بسطًا وإيضاحاً لما لهذه النظرية من تأثير كبير في التراث الفقهي بشكل عام والمقاصدي بشكل خاص (عودة، ٢٠٢١، ١٦٢).

[١٠] ينتقد الدكتور جاسر عودة منهجية "القياس"، أو بمعنى أدق طريقة استخدام هذه الأداة في عملية (التكييف الفقهي) في الفتوى (عودة، ٢٠٢١، ٤٨) إشكالية تبرير الواقع دون نقد منهجي. ويرى الباحث ضرورة شرح هذه النقطة بإسهاب أكبر وعرض مآخذ المنهجية المقاصدية على القياس كأداة أو على طريقة استخدمها من قبل الفقهاء والمفتين، وهل القياس –كأداة– في نظر المنهجية مرتبط بالنظرة الدائمة نحو الماضي، أم يمكن للمنهجية تطويعه أو تجديده ليصبح أداة نظر واستشراف مستقبلي لا التفات ماضوي.

[١١] تؤكد المنهجية في غير ما موضع أنها ترتكز على الوحي "قرآنا وسنة" في بنائها، ولكن ما هي السنة التي نتحدث عنها؟ ففي إطار التجديد "الإسلامي" الجامع لفرق المسلمين المختلفة، ربما كان من الضروري أن نعرّف موارد السنة ومفهومها، ونجلّي مرادنا منها، فهل هي التراث الحديثي، أم تراث آل البيت أم غير ذلك، وهل المدونات الحديثية الموثوقة مقتصرة على الصحيحين، أم الكتب الستة، أم التسعة أم غيرها. وهل المدوّنات الحديثية الشيعية جزء من هذا المورد سواء الأصول الأربعة أم الثمانية أم غيرها. لا سيّما وأنّ المنهجية تؤكد على ضرورة "الوصول إلى أرضية حديثية مشتركة تبنى على روايات صحيحة خسرتها الأطراف المختلفة (الفرق الإسلامية) دون سند علمي دقيق" (عودة، ٢٠٢١، ١٦٣).

Copyright © 2022 JCMS

فهل الوحي هو الكتاب فقط أم الكتاب والسنة، خصوصا وأننا نتحدث عن منهجية مقاصدية جامعة لأطياف الفكر الإسلامي.

أضف إلى ذلك استخدام مصطلح الوحي في أكثر من سياق؛ فعلى حين ينحصر الوحي في القرآن والسنة في مواضع، نجد الدكتور جاسر يربطه بـ "مركزية الوحي في العلم" باعتبار الوحي مفهوما مركزيا وهو علم من الله تعالى يهبه للإنسان من الأنبياء، ثم غير الأنبياء على مستوى مختلف، بل ولغير الإنسان كذلك في صورة مختلفة!" (عودة، ٢٠٢١، ٦٥). بمعنى أنه ليس منحصراً في الكتاب والسنة، بل يدخل فيه الكشف والإلهام والفطرة!، وهذا يقودنا دومًا إلى التذكير بأهمية تحرير المصطلحات لضمان الوقوف على أرضية واضحة وثابتة من المفاهيم.

- تحدّي بناء التفكير المنطقي الشبكي لدى الباحثين، والتخفيف من سطوة المنطق الأرسطي الحاكم للعقل الفقهي والأصولي: سيساهم هذا في إثراء الحقول المقاصدية المركزية وتسليط الضوء عليها والخروج من حديّة التقسيم المنطقي الحتمي، كما سيساهم في تقريب المنطق الشبكي التواصلي الذي ترتكز عليه المنهجية المقاصدية للدارسين.
- تحدّي قلة التطبيقات والشواهد الجزئية على التأصيلات والتبويبات العامة للمنهجية: حيث يرى الباحث أنه لا يمكن الاكتفاء بالجانب التنظيري في التقسيم والتبويب وبناء الحقول المعرفية، لكون المنهجية قائمة بالأساس على المنطق التواصلي الشبكي وليس على السبر والتقسيم المنطقي، ضمن ما أكده الدكتور جاسر عودة في أكثر من موضع على أهمية توليد الكليّات من الجزئيات لتحقيق الإدراك الأمثل للمنهجية وسباعية عناصر التصوّر المركب فيها. هذا الأمر يجعل العلاقة جدلية بين الجزئيات والكليّات وبالتالي فالأمثلة والشواهد الجزئية تغدو جزءا أساسيا من المنهجية وليس مجرد تطبيقات ثانوية لإيضاح النظرية، بل هي جزء أساسي من النظرية تقوم عليه ويعود إليها في تفاعل باتجاهين لا باتجاه واحد.

والحاجة إلى وجود "أمثلة ناجزة" تثبت صلاحية المنهجية لتقديم حلول معاصرة – قصة نجاح– إنما يتم من خلال بناء عمودي مرتفع إلى أقصاه وعميق وراسخ في منهجه وقواعده ليتم الانتقال منه إلى ما بعده، فالمنهجية إذ تتغيّ بناء القواعد وتأصيلها نظريًّا، غيرَ أن بناء أمثلة تطبيقية ناجزة أمر ضروري جدا لإثراء الجانب "العملي التطبيقي" للمنهجية في الواقع، ويشكّل في الوقت نفسه "خارطة طريق –خطة عمل" لينسج الباحثون على منوالها.

Copyright © 2022 JCMS

- تحدّي القدرة على التفاعل مع القضايا المعاصرة واستشراف المستقبل: حيث يرى الدكتور جاسر أن "المقاربة المستقبلية هي الاهتمام بتطبيق هذه المقاربة المنهجية تفصيلا على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك للإسهام في الصياغة التفصيلية التطبيقية لذلك الفقه الجديد الذي ننادي به" (عودة، ٢٠٢١، ٢٣).
- البناء المنهجي للتصوّر المركب: تخلص المنهجية إلى تعداد المقاصد المنهجية للوحي ضمن سباعية تصوريّة أو ما أطلق عليها الدكتور جاسر "عناصر التصور المركب، وهي: "المقاصد والمفاهيم والفئات والسنن والقيم والحجج والأوامر".

هذه السباعية إنما جاءت حصيلة البحث في الوحي في ضوء المنطق التواصلي مع دورات التدبر في الكتاب الكريم، وتم تطبيق هذا التحليل لعناصر التصور على عدد من موضوعات القرآن الكريم، فلم تخرج الاستنتاجات عن السباعية التصورية - بحسب الدكتور جاسر- (عودة، ٢٠٢١، ٢٣).[١٢]

لا يمكن القطع بأن هذه السباعية إنما بُنيت على الاستقراء التام – ربما يمكن للدكتور جاسر القول إنها بنيت على استقراء ناقص بالمعنى المنطقي ولكنّه وافٍ لفهم النسق-، غيرَ أن ادعاء بنائه وفق الاستقراء التام دعوى عريضة تحتاج إلى إثبات – ولا أظنّ الدكتور جاسر يقول بها-، كما لا يمكن القطع بأن هذه السباعية قد بُنيت وفق القسمة الحاصرة – كما يقول المناطقة- القائمة على النفي والإثبات، ولذا فهنا يورَد سؤال حول هذه السباعية؛ هل هي حصرية لا يمكن الخروج عنها زيادة أو نقصًا، إضافةً أو تعديلاً؛ فإن كانت حصريّة فبمَ أُحكمَ هذا الحصر، وإن لم تكن حصرية فما الذي يحول دون الخروج عليها تعديلاً أو إضافة. وكيف يمكن تأسيس بناء منهجي وفق ملاحظات – مهما كثُرت شواهدها – دون استقراء أو قسمة حاصرة. وهل المنطق التواصلي الذي تتحرك فيه هذه المنهجية يقدّم إجاباتٍ حول هذه التساؤلات. هذا ما تحتاج المنهجية توضيحه بشكل أكبر.[١٣]

---

[١٢] للاطلاع أكثر على التسلسل المنهجي في الوصول إلى هذه السباعية (عودة، ٢٠٢١، ٨٣-٨٨).

[١٣] على مستوى آخر، يرى الدكتور جاسر أن "الأساس المنطقي لنتائج دورات التدبر ليس قطعية الاستقراء ولا ظنيّته كما تجادلَ في ذلك بعض العلماء، بل الأساس المنطقي هو احتمالية المعنى الذي يتولد في ذهن الفقيه.. وكلّما اقترب المعنى من أن يكون معنى مركزيا في الشبكة الكبرى لمعاني الوحي كلّما زادت قطعيته واتضح تعريف أبعاده" (عودة، ٢٠٢١، ١٠١). يغلب على الظنّ بأن المنهجية اعتمدت هذه

Copyright © 2022 JCMS

وإذ ذكرتِ المنهجيةُ طرق الكشف عن كل عنصر من عناصر التصوّر المركب السبعة (المقاصد والمفاهيم والفئات والسنن والقيم والحجج والأوامر)، حيث يُلحظ أن الأشكال التوضيحية ساعدت في توضيح طرق بيان كل عنصر من هذه العناصر في نصوص الوحي. يقترح الباحث أن يدرج جنبا إلى جنب مع كل حقل فرعي من هذه الفروع مثال واحد على الأقل من نصوص الوحي توضح مقصود هذه التبويبات بشكل أكبر،[١٤] لا سيّما وأن المنهجية ترى أن "طرق البيان لعناصر التصور المركب لا تتناهى، بل قصد الشارع أن يتركها مفتوحة للأفهام وملبية لاحتياجات الأزمنة" (عودة، ٢٠٢١، ١٥٢)؛ الأمر الذي يجعل إيراد الأمثلة مؤسِّسًا للتأصيل لا مكمّلًا له، وباعتبار أن الكليّ إنما يُبنى من توارد الجزئيات بحسب المنهجية.

٥_ ملاحظات بحثية

- المنهجية لا تتبع أسلوب التوثيق للمصادر التي استقيت منها، وبالتالي فإن التزام الباحث بالمنهجية دون إدراك مواردها قد يحدث نوعًا من القطيعة أو الانقطاع – بشكل أدق- مع المصادر الأصلية التي هي موارد المنهجية. ربما هنا يمكن التشبيه -مع نوع من الفارق- مع رسالة الشافعي التي شكلت انقطاعا عمّا سبقها من المصادر.
- من المآخذ التي يراها الباحث كثرة اجتراح المصطلحات ضمن مفاهيم خاصة غير واضحة لدى القارىء، هذا التضخم في سبك المصطلحات الخاصة قد يساعد في بلورة إطار معرفي خاص بالمنهجية من جهة، ولكنّه سيشكل عائقا دون تمكن الباحثين والقرّاء من فهم مضامين هذه المنهجية. الأمر الذي يستلزم وجود قاموس ألسني خاص بالمنهجية.[١٥]

المقاربة في الوصول إلى هذه السباعية من حيثُ إنّها العناصر الأكثر مركزية في التصوّر القرآني بحسب المنهجية، ولكن لا يمكن القطع بذلك. ولربما تحتاج المسألة مزيد إيضاح من المؤلف -حفظه الله-.

[١٤] انظر الأشكال التوضيحية (عودة، ٢٠٢١، ١٢٧, ١٣١, ١٣٤, ١٣٩, ١٤٢, ١٤٨, ١٥١) لكل عنصر من عناصر سباعيّة التصوّر المركب تباعًا. فعلى سبيل المثال عند الحديث عن الفئات تذكر المنهجية ٩ طرق لبيان الفئات من النص، وطريقتين لبيان استنباط الفئات من النص ولكن دون أمثلة كافية لتوضيح المطلوب، وعلى هذا يقاس في باقي الأشكال التوضيحية.

[١٥] يمكن رصد تأثر الدكتور جاسر بمدرسة إسلامية المعرفة بشكل عام، ومنهج كل من طه جابر العلواني وأبو القاسم حاج حمد بشكل خاص في تكوين مفرداتهم الألسنية الخاصة بهم. ويخشى الباحث أن يعود هذا التأثر على المنهجية بكثرة الاشتقاقات المفاهيمية التي تحول دون اشتراك أكبر عدد من الباحثين في فهم ونقد وإثراء المنهجية. ويقترح الباحث أن يتم تحديث "قاموس ألسني" للمصطلحات

Copyright © 2022 JCMS

- يرى الباحث فائدة إعادة تسمية هذه المنهجية بما يُمايزها عن غيرها من المنهجيات المقاصدية، ويقترح الباحث إطلاق أي من الأسماء التالية:

المنهجية المقاصدية التركيبية، أو المنهجية المقاصدية التواصلية، أو المنهجية المقاصدية الشبكية، أو المنهجية المقاصدية الغائيّة.[١٦]

إن دراسة الأنساق المتصلة للخلق والوحي – وهي خطوة مركزية في المنهجية التي نطرحها هنا – تتولد عنها في عقل وقلب الدارس معانٍ مقاصدية غائية كلية، يستبطنها دارس تلك الأنساق التواصلية سواء في آيات الوحي أو آيات الآفاق (عودة، ٢٠٢١، ٣١).

- يرى الباحث أن المنهجية المقاصدية– إلى الآن– لم تكشف عن نسقها الخاص الذي يغنيها عن شرح الجزئيات المتناثرة هنا وهناك من جهة، أو يتيحُ للباحثين تطبيق المنهجية على القضايا الجزئية. "فالنسق يغتني بالمجموع، والقلّة لا تستغني عن النسق لتحصيل الكثرة؛ وهذا ما نراه التركيب عينه".[١٧]

- حين تتحدث المنهجية عن الأنساق التواصلية "الداخلية" في آيات الوحي، فإنها لا توضح طبيعة هذا التواصل الداخلي الذي ترمي له، وهنا يبرز نموذج أبو القاسم حاج حمد في نظريته عن التواصل الداخلي في القرآن ضمن "الوحدة البنائية "، فهل هذا هو مقصود المنهجية من الأنساق التواصلية الداخلية؟ أمّا الأنساق التواصلية الخارجية فهل هي محصورة بعلاقة آيات

المستخدمة في المنهجية بشكل مستمر. ومن هذه المصطلحات: "الفقه بالمعنى الشامل، الفصام المعرفي، تعدِية التخصصات، مركزية الوحي، سلطان الأسماء (الأسماء ذات السلطان)، التصوّر المركّب، المنطق التواصلي، القصد البحثي...الخ".

[١٦] توضيح استمدادات هذه التسميات:

الشبكية (عودة، ٢٠٢١، ٣٢): فتصوّر الوجود كلّه في تلك المنهجية مبني على الوحي بشبكات معانيه. وبناء المنهجية على المنطق الشبكي وتفاعل شبكة علاقات الفئات السبعة.

التواصلية: (عودة، ٢٠٢١، ٢٧) المنطق التواصلي المقاصدي (عودة، ٢٠٢١، ٣٢) بنينا على هذا المنطق التواصلي المقاصدي منهجية وسمناها بالمقاصدية، (عودة، ٢٠٢١، ٣٢) هذه النقلة في تصور الوجود إلى تصور تواصلي في نسق يتغيّا منطقيا مجموعة من المقاصد هو العمق المنطقي للنقلة المنهجية التي نتغيّا تحقيقها. ومنطق المنهجية إنما هو منطق تواصلي.

التركيبية: فالمنهجية في أساسها قائمة على عناصر التصور المركب، والبناء المركب للعلاقات بعيدًا عن الأحاديات أو الثنائيات المتوهّمة.

الغائية: (عودة، ٢٠٢١، ٢٨) إن دراسة الوحي الكريم والتدبر في معانيه ومراميه أثبت لنا أن العلاقة المنطقية الأكثر مركزية بين علاقات العلامات والحقائق هي هذه العلاقة الغائيّة) المبنية بحسب المؤلف على المنطق المقاصدي الغائيّ.

[١٧] مسالك التنمية المركبة؛ الأنموذج الياباني والمستقبل العربي (يوسف، ٢٠١٩).

Copyright © 2022 JCMS

الوحي بآيات الآفاق أم يوجد مكان للمنهجية في الحديث عن التواصل مع الكتب المقدسة للأديان الإبراهيمية على وجه الخصوص أو الأديان بشكل عام ضمن التواصل البشري الخارجي، فهل هذا النسق التواصلي ضمن دائرة اهتمام المنهجية أم لا. هذا ما لا تُجيب عنه المنهجية بعد.[١٨]

- يتحدث الدكتور جاسر عن أن "ترتيب حروف الكلمة العربية يدل على معاني معيّنة في نظام محكم وراقي، بل إن عكس ترتيب الجذر كثيرًا ما يدلّ على عكس المعنى" (عودة، ٢٠٢١، ١٢٨). لا يتفق الباحث مع هذا، ويرى أن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية وليست دلالية.[١٩]

الخلاصة

تشكّل المنهجية المقاصدية إضافة نوعية إلى الدراسات المقاصدية المعاصرة، وتتميز بكونها تفتح أفقا جديدا في التفكير المقاصدي، في إدراك واضح لمواطن الضعف والقوة في دراسات المقاصد التقليدية والمعاصرة، وثغرات القراءات الحداثية. وتعتمد هذه المنهجية في بنائها على المنطق الشبكي والأنساق التواصلية من خلال سباعية عناصر التصوّر المركب. يرى الباحث أن المنهجية جديرة بالدراسة والبحث من قبل المهتمين بهذا الحقل، ورغم الإضافة النوعية التي تشكلّها إلا أنها ما تزال تحتاج الكثير على مستوى التأصيل والتنظير، كما تحتاج المنهجية أيضا إلى تقديم أمثلة ناجزة حول قدرتها على اجتراح الحلول للقضايا المعاصرة. فهذه الدراسة حاولت تحليل وقراءة المنهجية المقاصدية، وقدمت بعض الاقتراحات لتطويرها.

والله من وراء القصد.

---

[١٨] يرى الباحث أن الحديث عن هذا النمط من النسق التواصلي الخارجي غير حاضر في المنهجية، بل ما زال مبكرا للحديث عنه، إذ يمكن القول إن النسق التواصلي الداخلي المبثوث في ثنايا المنهجية ما زال حصريّا "على المصادر السُّنية" وفي إطارٍ ضيّق، فلا يظهر أثر للأدبيات الشيعية أو الإباضية أو حتى المعتزلية أثر كبير في بناء المنهجية. يشجّع الباحث على تحقيق اشتباك إيجابي – اتفاقًا او اختلافًا– مع هذه الأنساق الفكرية لضمان تواصل أوسع وبناء نسقي أشمل.

[١٩] قال الجرجاني في دلائل الإعجاز: فلو أنّ واضع اللغة كان قد قال: «ربض» مكان «ضرب»، لما كان في ذلك ما يؤدّي إلى فساد (عودة، ٢٠٢١، ٤٢).

Copyright © 2022 JCMS

اعتراف

يرى الباحث أنه لا بدّ من دراسة موازية للمنهجية المقاصدية "كمشروع" من خلال اطّلاع أعمق على مؤلفات الدكتور جاسر عودة، جنبًا إلى جنب مع دراسة معمّقة لأنشطة معهد المقاصد، والأنساق التفكيرية للباحثين الفاعلين في المعهد والأعضاء المؤسسين له. وهذه الدراسة هنا محصورة في فهم المنهجية المقاصدية في حدود هذا الكتاب. يتبنّى الباحث الرأي الذي لا يرى بأسًا في النسبة إلى الجمع. ولذا تم استخدام عبارات التفكير المقاصدي، المنهج المقاصدي.. الخ عوضًا عن المقصدي. للاستزادة حول جواز النسبة إلى الجمع – أي جمع التكسير– في اللغة انظر؛ النحو الوافي، أحكام عامة في النسب، النسب إلى جمع التكسير، ص ٧٤١. وأيضًا قرار مجمع القاهرة اللغوي في دورة انعقاده الثالثة.

References

Al-Jubair H. B. Abdullah. (2014). *Al-Fiqh al-Irtidadi: Nazharat fi al-Fiqh al-Mustashrif lil Mustaqbal*, Nama Centre for Research and Studies.

Auda, Jasser. (2021). *Re-envisioning Islamic Scholarship: Maqasid Methodology as a New Approach*. Wales: Caritas.

Abbas, Hassan, (n.d). Al-Nahw al-Wafi, Dar al-Ma'arif.

Hanafi, Sari, (2021). *Ulum al-Shar' wa al-Ulum al-Ijtima'iyyah: Nahwa Tajawuz al-Qati'a* (Alayssa al Subhu bi Qareeb), Centre of Nuhud for Studies and Research

Naseer, Yusuf, (2019). *Masalik al-Tanmiyah al-Murakabba: al-Namawthaj al-Yabani wa al-Mustaqbal al-Arabi*. International Institute of Islamic Thought.

Copyright © 2022 JCMS